مركز تدبر للدراسات والاستشارات

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر

ثلاثون مجلساً في التدبر

مجالس علمية وإيمانية





المجموعة الرابعة

الطبعة الأولى

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ثلاثون مجلسًا في التدبر

مجالس علمية وإيمانية

المجموعة الرابعة

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر



مركز تدبر للدراسات والاستشارات

ثلاثون مجلساً في التدبر

مجالس علمية وإيمانية

المجموعة الرابعة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥

هاتف ٠١١٢٥٤٩٩٩٣ ـ تحويلة ٣٣٣

ناسوخ ٠١١٢٥٤٩٩٩٦

ص.ب.٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com

....

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمة

ثلاثون مجلسا في التدبر (المجموعة الرابعة).

مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية - الرياض، ١٤٣٦هـ

٦٨ ص؛ ١٧ × ٢٢سم

ردمك: ٤-٣٤٩-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - احكام ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢٢٦ ١٤٣٦/٦٢٣٦

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٦٢٣٦

ردمك: ٤-٣٤٩-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة النشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على من زكّاه ربه واصطفاه، أما بعد:

فهذه هي المجموعة الرابعة من هذه السلسلة «ثلاثون مجلسًا في التدبر» تأتي بعد مراجعة تقييمية وتقويمية للمجموعات الثلاث السابقة، استفدنا فيها من تواصل الإخوة القراء، وخاصةً أئمة المساجد الذين أكرمونا بتفاعلهم الإيجابي، الذي حاولنا أن نستثمره في هذه المجموعة (الرابعة).

ومن أبرز ما سيلحظه القارئ الكريم في هذه المجموعة هو محاولة التركيز على فكرةٍ محددة من الآية التي يدور حولها المجلس، وفي وقت قصير نسبيًا.

نسأل الله تعالى أن تكون هذه المجموعة -مع الأجزاء السابقة- معينًا على تحقيق رؤيتنا ورسالتنا في هذا المشروع المبارك: «تدبر».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسعد بملحوظاتكم وتسديداتكم على: tadabbor@tadabbor.com

وكتب/ عمر بن عبدالله المقبل

رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

وعضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

١٤٣٦/٦/١٥هـ

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

هل تساءلت أخي المسلم القارئ يومًا عن سر تخصيص المتقين بهداية القرآن في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟ وهل سألت نفسك وأنت تقرأ هذه الآية ما المراد بالمتقين هنا؟ وكيف أحقق هذا الوصف المتعلق بهداية القرآن؟

قال تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (البقرة) تأمل كيف وصف الله تعالى كتابه بأربع صفات دالة على كماله وهي كمال علوه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، وكمال مضمونه بقوله: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ وهو دلالة على استغراقه وتضمنه للكتب السماوية كلها، وكمال سلامته من النقص والخطأ والشك؛ ولذلك قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما أكمل هذا الكتاب العظيم الذي جعله الله هدى للمتقين.

هذا القرآن لعظمه وعلو مكانته وكماله لاينال إلا من كمل نفسه بالتخلي عن موانع الانتفاع والاهتداء بالقرآن، وتحلى بأسباب الانتفاع والاهتداء.

أما موانع الانتفاع: فمنها الكفر والشك والنفاق والرياء والغفلة والشهوة والشبهة والانصراف والتولي والإعراض عن القرآن والكبر والمعاصي بأنواعها، فحذار حذار أخي المسلم من هذه الموانع التي هي أقفال على القلب

(١) كتبه: د. محمد بن عبدالله الربيعة، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.



تمنع من التدبر والاهتداء كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد) أما أسباب الانتفاع: فمنها الإيمان والإخلاص والتصديق والتعظيم والإقبال وصفاء القلب بالتوحيد واليقين مع الإتيان بالأسباب الحسية كالتطهر والاستعداد والاستماع والإصغاء والتدبر وغير ذلك.

فالتقوى المقصودة هنا الانتفاء من موانع الانتفاع والاهتداء، والتحلي بأسباب الانتفاع والاهتداء.

قال ابن القيم ﵀ في كلام جامع نفيس حول أسباب الانتفاع بالقرآن وموانعه: «إذا أردتَ الانتفاعَ بالقرآنِ، فاجمعْ قلبكَ عند تلاوتهِ وسماعهِ، وألقِ سمعَكَ، واحضُر حضورَ من يخاطِبُه به من تكلَّمَ به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطابٌ منه لك على لسانِ رسولِهِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ (ق)»[1].

(١) الفوائد (٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾(١)

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ إذا تأمل المتدبر هذه الآية الكريمة، وتفكر فيها؛ فإنه سيظهر له أنها قد تضمنت ثلاثة أقسام مهمة:

(الأول: سؤال وجواب، الثاني: نفي وإثبات، والثالث: أمر وتعليل).

وسأقتصر في هذا المجلس على بيان بعض الفوائد المهمة التي اشتمل عليها القسم الأول فقط، وهو قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

أخبر ﷻ أنه وُجِّه للنبي الكريم ﷺ سؤالٌ من طائفة لم يَرِدْ في الآية ما يدل على تحديدها، وكان السؤال عن الأهلة: ما فائدتها؟ وما الحكمة من اختلاف أحوالها؟.

وبعد هذا الخبر جاء الأمر للنبي ﷺ بأن يجيب عن هذا السؤال، وأن يخبرهم بأن هذه الأهلة جعلها الله مواقيت للناس والحج، «فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجّهم، ولعدة نسائهم وَمحلّ دَينِهم في أشياء، والله أعلم بما يُصلح خلقه»(٢). كما قال قتادة.

---

(١) كتبه: د. محمد بن عبدالله القحطاني، الأستاذ المشارك في جامعة الملك خالد بأبها.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣/٢٨٠).

فباختلاف أحوال الهلال تُعرف الأوقات التي يحتاجها الناس لأمور دينهم ومعاشهم.

وفي هذا فوائد مهمة:

أولها: أهمية السؤال، وأن من حق الناس أن يسألوا عما يهمُّهم ويَشغَلُ تفكيرهم، مع الحرص على اختيار المسؤول المناسب، وألّا يوجه السؤال إلا إلى عالم ناصح ثقة.

الثانية: ضرورة الإجابة عن أسئلة الناس، وأن ذلك من مهمات الرسول ﷺ. فعلى ورثته من بعده أن يقوموا بهذا الواجب؛ حتى يكونوا من أتباعه ﷺ حقًا.

الثالثة: في الإجابة عن السؤال عن الأهلة بهذا الجواب الحكيم الذي يتعلق بما يحتاجه الناس عمليًا، وتركِ الخوض في التفاصيل العلمية الفلكية التي لا يحتاجها الناس، إشارةٌ صريحة إلى هدف القرآن الكريم ومقصوده الأعظم، وهو هداية الناس وإصلاح عقولهم، وتزكية نفوسهم. فلا ينبغي أن تحمّل آيات الكتاب الحكيم ما لا تحتمله من المعاني والتفسيرات العلمية الحادثة، ولا حاجة للتكلّف في تنزيل آياته على نظريات علمية ظنية تصيب وتخطئ؛ فالقرآن أجل وأرفع وأعظم من هذه العلوم والنظريات.

الرابعة: أنّ الله تعالى قد جعل الأهلة علامة لمعرفة المواقيت الشرعية والدنيوية للمسلمين، وهذه العلامة متوافقة مع طبيعة هذا الدين الكامل، الذي هو دين الفطرة التي فُطر الناس كلهم عليها. فعلى المسلم أن يعتز بدينه، وأن يحافظ على الطريقة التي ارتضاها الله له في معرفة التاريخ والمواقيت.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى وصحبه ومن والاه أما بعد، فقد ذكر الله عز وجل وَعْد الشيطان بالفقر وأمره بالفحشاء، ووَعْدَ الله بالمغفرة والفضل، ثم قال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ (البقرة)، وفي هذا الترتيب إشارة إلى أن من فضل الله الواسع العليم، إيتاؤه الحكمة، فمن وُفق إليها فقد وفق لخيري الدنيا والآخرة، وأسباب السعادة فيهما، وقد فسرت الحكمة في الآية بتفسيرات: منها النبوَّة، ومنها علم القرآن، ومنها الفقه فيه، ومنها العلم بالدين، ومنها ما جاء به النبي ﷺ، ومنها الورع، ومنها الخشية، ومنها الفهم والفطنة، ومنها الإصابة في القول والعمل، ومنها وضع الشيء في موضعه.

والصحيح أن الحكمة تجمع ذلك كله، ومن قال هي إصابة الحق بالعلم والعمل ينتظم قوله جميع ما تقدم، وهو في معنى قول من قال هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها، وهذا أشمل من القول بأنها: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي، فهذا حدٌّ جامع للحكمة في الأفعال، وأصل الحكمة المنع من الانقياد لداعي الجهل والهوى، فأهلها على

---

(١) كتبه: أ.د. ناصر بن سليمان العمر، رئيس مجلس أمناء الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، والمشرف العام على مؤسسة ديوان المسلم.

نور من ربهم في اعتقاداتهم، وأعمالهم، وأقوالهم، ثم هم في هذا الخير مراتب ودرجات، في أعلاها الأنبياء والصِّدِّيقُون، وقد نوّه الله ببعضهم حيث قال: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (النساء:٥٤)، وقال عن داوود: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ (البقرة:٢٥١)، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ (ص)، ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ (الزخرف:٦٣) وقال عن العبد الصالح لقمان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢).

والحكمة منها ما هو محض موهبة وفضل من الله، ومنها ما يوفق له المكتسب بالطلب إذا صدق وجد في طلبها من الله، فاجهد في أسباب تحصيلها، بالعلم النافع، المقتضي للعمل الصالح، وادأب على سؤال الحكيم العليم سبحانه أن يعلمك الحكمة، إنه سميع مجيب.

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإن مقام الدعوة إلى الله من أجل المقامات، وأعلى المناقب، ولا أدل على مكانته الشريفة، ورتبته المنيفة إلا أنه الغاية من إرسال الرسل، فالداعية بالمقام الأول وارثٌ حظا كبيرا من ميراثِ النبوّة!

والداعون إلى الخير هم صفوة الخلق، ووظيفتهم على الوجه الصحيح اصطفاء من الله، فما كل أحد يستطيع القيام بهذه المهمة بأعبائها إلا من علم الله صلاحيته لذلك، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

ولو لم يكن من شرف الدعوة إلى الله إلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت) أي: فلا أحد أحسن قولا من هؤلاء!

وهي كذلك سبيل النبيّ ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) وقد اصطفى الله ﷻ من أتباع الأنبياء أناسًا ما هم بأنبياء، ولكنّهم يقومون بوظائف الأنبياء، كما قال تعالى:

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران) تأمَّل في جمالِ قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ إلى التوحيد، إلى المكارم، إلى الفضائل، يغرسون في عقول الناس القيم الصحيحة، ويزرعون في نفوسهم الأخلاق الحميدة، ويرغِّبونهم في الفضائل، ويقبِّحون لهم الرذائل!

وتأمل كيف قدم (الدعوة إلى الخير) على (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)؛ فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يرجعان إلى الدعوة إلى الخير؛ فكل أمر بمعروف فهو دعوة إلى الخير، وكل نهي عن منكر فهو متضمن للدعوة إلى الخير كذلك.. فهذه الآية فذة جامعة لكل ما يقرب من الله، ويبعد عن سخطه.

فهنيئًا لمن شرَّفهم الله بهذا المقام الجليل!

اللَّهُمَّ اجعلنا من الدعاة إليك على هدًى وبصيرة.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فمن الالتفاتاتِ المُدهشة في القرآن أنَّ الله ﷻ لما ذكر أحكامًا في سورةِ النساءِ تتعلَّق بالمحرَّماتِ في النكاح، وبعضِ أحكام العَقْدِ والمهور، وأنَّ هذا جاءَ إرادةً من الله؛ لبيانِ العلم للناس، وهدايةً لهم، قال بعد ذلك مُتفضِّلًا على عباده ومُمتنًّا: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ (النساء)، وذلك أنَّهم كانوا في جاهليتهم يستحلُّون نكاحَ حلائل الآباء والأبناء، فلما حرَّم عليهم ذلك أخبرهم أنَّ يريد أن يتوبَ عليهم، ويعفوَ عما سلف من آثامهم، وما مضى من جاهليتهم، وأنَّه بذلك يُخرجهم من طريق الغواية والضلال إلى سبيل الهداية والرشاد.. وفي هذه الآية لُطفٌ بالِغ، وعنايةٌ عظيمة، ورحمةٌ كبيرة من الرحيم الرحمن!

ومَن تدبَّر هذه الآية، وقلَّبَ فيها نظرَه، وأجال فيه فِكرَه، وجدَ أنَّ الله ﷻ في أحكامه الشرعيَّة يذكر أنَّه يريد بذلك رحمةَ خلقهِ، والإحسان إليهم، والتوبةَ عليهم!

وأيُّ شيءٍ أعظمُ من تكون إرادة الله بنا أن يتوبَ علينا، فيمحو زلاّتنا، ويغفر ذنوبنا، ويقيل عثَرَاتنا، ويعفو عن سيئاتنا؟! وأعظم من ذلك كلِّه أنه يفرحُ بتوبة التائبين، وهو عنهم غنيٌّ!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

وهكذا.. لو تفكَّر كلُّ مسلمٍ فيما حَرَّم الله عليه، لوجدَ أنَّ الله ما أراد به إلاَّ خيرًا حين نهاه، وأنَّ العطَبَ كلَّ العطبِ في تقحُّمِ أسوار الخطايا والآثام، وأنَّ هذه هي محضُ إرادة أصحاب الشهوات، فشتَّان بين إرادة الله لعباده، وإرادةِ أصحاب الشهواتِ للخَلْق!

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ (النساء).

اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا، واغفر ذنوبنا، وتُب علينا، واهدنا سُبُلَ السلام، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]

هذه الآيةُ الكريمةُ واردةٌ في سياق قصة ابني آدم ﷺ في سورة المائدة، حينما قرّبا قُرْبانًا فتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقبَّل من الآخر، فقتل الثاني أخاه الذي تقبَّل اللهُ قربانَه حسدًا له وظلمًا، وكان أولَ من سَنَّ القتل.

يقول الله تعالى بعد ذكر هذه القصة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المائدة) ففي هذه الآية الكريمة يبيِّن الله ﷻ أن مَن قتل نفسًا معصومةً بغير حق، فهو كمن قتلَ الناس جميعًا؛ لأن من استباح نفسًا معصومة غيرَ مستحقة للقتل، فهو حَريٌ بالاستهانة بغيرها.

وهكذا من أحيا نفسًا بأن امتنع عن إزهاقها ظلمًا وعدوانًا أو استنقذها من القتل والهلاك بغير حق، فهو كمن أحيا الناس جميعًا؛ لأنه بلا شك حريص على حفظ غيرها من النفوس.

وقد تضافرت نصوصُ الكتاب والسُنّةَ في التأكيد على حفظ الدماء المعصومة: وهي دماء المسلمين وأهل الذمة والمستأمنين، إلا إذا وُجد مسوِّغ شرعي لقتلها كالقصاص والحدود.

---

(١) كتبه أ. د. إبراهيم بن صالح الحميضي، أستاذ الدراسات العليا في جامعة القصيم.

بل إن الإسلام جعل قتلَ النفس بغير حق أعظمَ الذنوب بعد الشرك بالله تعالى، كما قال ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ (الفرقان) فهذه الذنوبُ الكبائر المذكورة في الآية هي أعظمُ الذنوب على الإطلاق، وأولها الشرك بالله، وثانيها قتل النفس بغير حق، وثالثها الزنا، وقد دلَّت السنةُ على ذلك كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خَلَقَكَ**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعَمَ معك**». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تُزاني حَلِيْلَةَ جارك**» ثم قرأ هذه الآية[1].

وهذا رَدٌّ على أعداء الإسلام الذين يتَّهمون الشريعة الإسلامية بالعنف والدعوة لسفك الدماء.

---

(١) البخاري ح(٦٠٠١)، مسلم ح(٨٦).

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ الله خلقَ الموتَ والحياةَ؛ ليبلُوَ عبادَه أيُّهم أحسنُ عملًا ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢) فالحياة ابتلاءٌ واختبار؛ ليعلم الله الذين جاهدوا فيه ويعلمَ الصابرين.

وإنَّ من أعظم مواطن الامتحان؛ أن يُبتلى الإنسانُ بشيءٍ يحبُّه ويَهواه في الخَلَواتِ، وهو مما حرَّمه الله عليه، ولْنتأمَّلْ قولَ الله تعالى في هذه الآية الكريمة في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ ولنتخيَّلْ كيف أنَّ الله أخبر المؤمنين السابقين أنه سيبلوهُم ويختبرُهم بشيءٍ مما يحبُّونه؛ وهو الصيد، وهو حلالٌ في أصله، لكنه حرامٌ على المُحرِمِ، ثمَّ يخبرُهم ﷻ أنَّه هذا الصيد سيكون في مُتناوَل أيديهم، أو مما تنالُه رماحُهم، فهو قريبٌ منهم جِدًّا، ونفوسُهم تدعوهم لصيدِه والاستمتاع بلحمه اللذيذ مع التعب والسفر، ثمُّ يخبرُ سبحانه أنَّ سبب هذا الابتلاء ليعلمَ مَن يخافه بالغيب ممن لا يخافه بالغيب!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

فيا لله! يلتفتُ غايةَ اليمين فلا يرى أحدًا، ويلتفتُ غايةَ الشمالِ فلا يرى أحدًا، وينظرُ خلفَه وأمامَه فلا يرى أحدًا، ثم يرى الحيوانات البريَّة اللذيذة تتمشَّى بين يديه!

فهل ينجحُ في هذا الامتحان إلاَّ مَن راقبَ الله وخافه بالغيب؟!

وهل يكون تحقيقُ صدقِ الخشيةِ إلاَّ في الخلَوات؟!

ولنتدبَّر هذه الآية، ولننظر ما الذي تنالُه أيدينا في زمن الانفتاح، وما الذي نقدِرُ على فعله في الخلوات، وما الذي تُزيِّنه لنا نفوسُنا من الشهوات، ولا يرانا من البشر أحدٌ أبدًا.. ثم لنعرضَ أنفسَنا على هذا الامتحان!

فمن يراقِبُ الله ويخافُه بالغيبِ؛ توقَّف عند حدودِه مستشعرًا نظرَ الله إليه، ومَن يراقبُ الناسَ فإنه لا ينتظر إلا غفلتَه ليفعلَ بعد ذلك ما يشاء!

اللَّهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، واملأ قلوبنا خوفًا منك ورجاءً فيك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ من بلاغةِ القرآن وعظمتِه؛ أنَّك تجدُ فيه كلامًا قليلَ الحروفِ والمباني، كثيرَ الأحكام والمعاني، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ (الأنعام: ١٢٠) فإنَّ هذه الآيَةَ الفذَّةَ شاملةٌ للنهي عن كافَّةِ أنواع الذنوب والمعاصي والسيِّئات، ومَن تدبَّرها وعمل بها، كان من الصدِّيقين الذين يخشون الله في السرِّ والعَلَن، حتى قال الإمام القرطبيُّ ﷺ في تفسيره عند هذه الآية: «وهذه المرتبة لا يبلغها إلا مَن اتَّقى وأحسن»[2].

فهذا نهيٌ عظيمٌ من الله ﷻ لعبادِه أن يذَرُوا ظاهرَ الإثم وباطنَه، فإنَّ للإثمِ ظاهرًا: وهي ذنوبُ البدنِ والجوارح عامَّةً، أو ما يجاهرُ به صاحبُه... وباطنًا: وهي ذنوبُ القلبِ كالحسدِ والغلِّ وسوءِ الظنِّ ونحوها، أو ما يُخفيه العبدُ من الذنوب في السرِّ والخَلَوَات!

فمن تركَ ظاهرَ الإثمِ وباطنَه، كان صدِّيقًا، مراقبًا لله، مُتقيًا له حيثُما كان، وينال بذلك الفوز العظيم، والأجر الكبير.

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٧٤).

وأكثرُ ذنوبِ الناسِ إنما هي في (باطنِ الإثم) لا في ظاهره؛ فإنَّ خَلْقًا كثيرًا يتنزَّهون عن (ظاهر الإثم) لكنْ تقلُّ مراقبتُهم لله في الغيبِ والخلَوات؛ ولذلك أثنى الله على مَن يخافُه في خلْوَته، ووعده بالأجر بالكبير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ (الملك)؛ وذلك أنَّ الخلَواتِ هي مَحَكُّ الخشيةِ الحقيقيِّ، فمن خشِيَ ربَّه في الغيب، خَشِيَه في الشهادةِ من باب أولى، ومَن راقَبَ نظراتِ الناس فقط؛ ضعُفَت مراقبته لله في الخلوة.

ومما يَنبغي التفطُّنُ إليه؛ أنَّ من أعظمِ الإثم الباطن هو الإصرارَ على المعاصي، وذلك أنَّ المُصِرَّ على المعصيةِ قد عَقَدَ قلبَه على مخالفةِ مولاه، وهذا إثمٌ باطنٌ ولو لم يُذنِبِ الذنبَ الذي يُصِرُّ عليه.

وعليه فلن يكون العبدُ سالمًا من ظاهرِ الإثم وباطنِه حتى يكونَ قلبُه عازمًا على عدم مقارفة الذنوب إلاَّ ما يقعُ فيه بجهالةٍ.

اللّٰهُمَّ إنا نعوذ بك من مقارفةِ الآثامِ ظاهرةً وباطنةً يا قريبُ يا مُجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾[1]

هذه الآية الكريمة وردت في سورة الأعراف المكية تضمنت عدة مدلولات عظيمة؛ و فيها تعريض بالذين أُخِذَ عليهم ميثاق الكتاب من أهل الكتاب ودرسوا ما فيه، ثم هم لا يتمسكون بالكتاب الذي درسوه، ولا يعملون به.

لكنَّ هذه الآية تبقى عامة تعطي مدلولها كاملًا لكل جيل، ولكل حالة على مرِّ العصور.

فهي تصوِّر مدلولًا واضحًا يكاد يُرى، مدلولًا يوحي بوضوح «أهمية التمسك بالكتاب بقوة»؛ ولهذا نجد أن قراءة الجمهور لـ (يمسِّكون) بالتشديد فيها صبغة لفظية خاصة، توحي بمعنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله -تعالى وبدينه، وهذا التمسك كما تفيد هذه القراءة يحتاج إلى الملازمة والتكرير لفعل ذلك، وهذا من أسباب الثناء عليهم[2].

و الجدَّ والقوة في التمسك بكتاب الله لا تنافي اليسر والسهولة، ولكنها تنافي التميع والتساهل! ولا تنافي سعة الأُفق ولكنها تنافي الاستهتار! ولا تنافي مراعاة الواقع، ولكنها تنافي أن يكون (الواقع) هو الحكم في شريعة الله! وتأمل في وصية الله لأنبيائه -صلوات الله وسلامه عليهم- وقومهم أن يأخذوا

---

(١) كتبه الشيخ/ عبداللطيف بن عبدالله التويجري.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٣١٣).

ما أوتوا بقوة في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢) وقوله لبني إسرائيل: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة: ٩٣) وقوله لموسى ﷺ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٥).

والتمسك بالكتاب في جدّ وقوة مع إقامة الصلاة -أي شعائر العبادة- هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة. وخص الله الصلاة هنا بالذكر بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (الأعراف: ١٧٠) لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات [١].

والثناء على المصلحين الذين ورد في الآية يشير إلى هذه الحقيقة؛ حقيقة أن الاستمساك بقوة بالكتاب عملًا، وإقامة شعائر العبادة؛ هما أداة الإصلاح الذي لا يضيع الله أجره على المصلحين؛ لأنهم إذا قاموا بذلك أصبحوا لزامًا مصلحين لأنفسهم ولغيرهم.

والحياة لا تفسد إلا بترك طرفي هذا المنهج الرباني: ترك الاستمساك الجاد بالكتاب، وترك العبادة التي تُصلِح القلوب.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٠٧).

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[1]

تمرّ على الإنسان فرصٌ كثيرة: يتعلق بعضها بالطاعات، كما يتعلق بعضها بالعلم والتعلم، إضافة إلى فرص مختلفة في الحياة.

يتعامل الناس مع هذه الفُرص بطرائق مختلفة، فمن مبادرٍ مستعدٍّ لها، ومن مُضَيِّع غير مكترثٍ بها، فتفوت عليه مغانمها، وربما وقع في مغارمها، وقسم ثالث لم يأخذ الأمر بقوة، فأدرك منه نصيبًا، لكنه كان قادرًا على تعظيم أرباحه منه بيد أنه لم يفعل.

إن التأمل في النصوص يجد أنها تدعونا لأخذ زمام المبادرة دائمًا، والاستعداد المبكّر، تأملوا معي قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: ٤٦) تأتي هذه الآية تعقيبًا على المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، مظهرة أن سبب التخلف عدم استعدادهم للخروج، مما يعني عدم اكتراثهم بالأمر الشرعي؛ لأنهم لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة.

هذه الآية تؤسس لمنهج راقٍ في التخطيط للأعمال والخروج من دائرة الارتجال والفوضى التي تنخر في كيان الفرد والمجتمع وتصيبه بعوامل الضعف والانكسار في الأعمال والمشاريع حال حدوثها.

---

(١) كتبه: د. محمد بن مصطفى السيد، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

والاستعداد الذي تحدثت عنه الآية يشمل أمرين: أحدهما النية الصالحة بأن ينوي المرء في عمله رضا الله سبحانه، والثاني الاستعداد المادي، ويكون هذا الاستعداد لكلّ شيء بحسبه، تأملوا حديث رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»**[1] وحين يعظُم الهدف، يعظم الاستعداد له.

ومن الاستعداد: المعرفة التامة بالأمر الذي تنويه والتركيز فيه، فإن لم يكن لديك تلك المعرفة، فالجأ إلى استشارة من تتوسم فيهم معرفة، تدلك على الطريق الصحيح من الراسخين في العلم والتجربة، ثم تُتبع الاستشارةَ الاستخارةَ؛ ليختار لك الله مافيه خيرك وصلاحك في أمر دينك ودنياك.

إن أحد أهم سلبيات عدم الاستعداد التردد والاضطراب في أداء العمل؛ ولذلك جاءت الآية السابقة لتؤكد هذا المعنى ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (التوبة)، ونتيجة لذلك ربما فشل العمل أو لم يحقق تمام المقصود به.

(١) أخرجه الترمذي ح(٢٤٥٠)، الحاكم ح(٧٨٥١).

﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾(1)

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على إمام الصابرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فمائة آية بل أكثر لم تكن لتنزل في غير أمر جليل وشأن عظيم؛ فلا نجاح ولا نصر في الدنيا ولا فلاح ولا فوز في الآخرة إلا بالصبر، ومنزلته من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما قال علي رضي الله عنه.

والحديث عن الصبر وفضله وأنواعه لا يتسع له مقام كهذا، فيكفي الصابر أن الله معه ويحبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ (البقرة)، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ (آل عمران)، ومن أجَلِّ ما يكون الصبر فضلاً وأعظم ما يكون أثرًا: إذا اتصف به الداعية إلى الله، فيما يلاقيه من منكرات وفتن ومعوقات تثنيه عن سبيله؛ ولذا فإن الله ﷻ لما أمر نبيه بالاتباع، أتبعه بالصبر على ذلك؛ لأنه سيلاقي المعرضين والمعترضين، كما قال: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ (يونس).

قال ابن كثير: «أي تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يفتح بينك وبينهم، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ أي: خير الفاتحين بعدله وحكمته»(2).

---

(1) كتبه: د.عبدالله بن منصور الغفيلي، عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٠١/٤).

قال السعدي: «﴿ وَٱتَّبِعْ ﴾ أيها الرسول ﴿ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ علمًا، وعملًا وحالًا ودعوة إليه، ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ على ذلك، فإن هذا أعلى أنواع الصبر، وإن عاقبته حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ﴾ بينك وبين من كذبك ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ فإن حكمه مشتمل على العدل التام، والقسط الذي يحمد عليه»[1].

فجاءت الآية بالأمر باتباع الوحي واليقين بموعود الله، وحسن الظن به، وهذا يغرس الصبر المأمور به في قلب المؤمن، ومتى كان ذلك كان الثبات على الحق والنصر، وكل من اتبع الوحي ابتلي بما ينبغي الصبر عليه، فمن صبر انتصر، ومن سخط خسر في دنياه وأخراه!

ولذا تكرر الأمر به وتثنى في غير ما آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران).

فاللَّهُمَّ أوزعنا شكرا وألهمنا ذكرا واجعلنا من الصابرين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (١/٣٧٥).

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ سورةَ هودٍ من أعظم سُورِ القرآن التي نزلت على النبيِّ ﷺ وفيها ذِكرٌ لأخبارِ الأنبياء قبلَه وما لاقَوْهِ من أقوامهم، وعانَوْه من أُمَمِهم؛ جاءت تسليةً له، وتثبيتًا لقلبِه، وموعظةً وذكرى للمؤمنين، كما قال الحقُّ ﷻ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود) ومن أعظمِ الإرشادات والأوامر التي ذكرها الله تعالى في هذه السورةِ بعد الانتهاء من قَصصِ الأنبياء قولُه تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ (هود)، فتعالَوْا إلى ظلِّ هذه الآيةِ نتدبَّرُ بعضًا من مواعِظها وأسرارِها.

فالآيةُ تضمَّنتْ أمرًا بالاستقامة: وهي إقامةُ النفس على الصراط المستقيم؛ وهو الإسلام بشرائعه وأحكامه، والمستقيمُ: هو المتمسِّك بشرائع الإسلامِ ظاهرًا وباطنًا.

وقد جاء ذِكر الاستقامةِ في القرآن في قوله تعالى في موضعين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ (فصلت: ٣٠) وذكر لهم بشائرَ ومغانم.

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

ثمَّ ذكر في هذه الآيةِ التي أمر فيها بالاستقامةِ قيدًا آخرَ؛ وهو أنَّ الاستقامةَ لها ميزانٌ ثابتٌ، وصراطٌ مستقيمٌ لا اعوجاجَ فيه، فلا يكون المستقيمُ مستقيمًا حقًّا على شريعة الله إلا إذا كانت استقامتُه كما أُمِرَ لا كما أراد، فلذلك قال له: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (هود: ١١٢) ولم يقل له: (فاستقِمْ كما أردتَ أو أحببتَ أو اشتهيتَ) فالاستقامةُ دينٌ متبوعٌ لم تُضبَط بالأذواقِ، ولا بالتشهِّي، ولا بالطبائع، بل فيها ما يوافقُ الهوى، وفيها ما تكرهه النفوسُ وتستثقِلُه، فتتمُّ عبوديَّةُ المؤمنِ بإخراجِ نفسِه من حُرِّيةِ الشهواتِ إلى رقِّ العبوديَّة الحقَّة لله ﷻ.

وهذه الآيةُ أصلٌ في التزام الشرعِ والاتّباع، ونبذِ الأهواءِ والابتداع، فليكن نُصْبَ عينِ المؤمِنِ الذي يروم طريق الاستقامة أن يتعرَّفَ على طريقِ الله المستقيم؛ ليعبدَ ربَّه على بصيرة، لا أن يتخبَّط في ظلماتِ الأذواق والأهواء، فيضِلَّ عن سواء السبيل!

اللَّهُمَّ اهدنا صراطَك المستقيم، واجعلنا من ورثة جنَّةِ النعيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ القرآنَ كلَّه ذِكرٌ، والذكر من أيسر العبادات وأشرفِها، فهو أيسر العبادات من جهة كونه لا يكلِّفُ الإنسانَ شيئًا إلا تحريكَ شفتيه، وأشرفُها من جهة كونه إشغالًا للقلبِ واللسانِ بأعظم مذكورٍ وهو الله ﷻ!

ولذلك فإنَّ الذاكرين اللهَ كثيرًا والذاكرات هم أقربُ العِباد إلى ربِّهم ومولاهُم!

ولو تدبَّرنا القرآنَ، لوجدنا أنَّ الله ﷻ كثيرًا ما يذكر الذكرَ في كتابه: أمرًا به، وحثًّا عليه، وثناءً على أهله، وبيانًا لمنزلته وآثاره وفوائده الجليلة..

وقد ذكر الحافظُ ابن القيم ﷺ في كتابه (الوابل الصيِّب ورافع الكلم الطيب) أكثرَ من مائة فائدة من فوائد الذكر!

ووقفتُنا في هذا المجلس التدبُّري مع آيةٍ من آياتِ الذكر، بيّن الله فيها فائدةً عظيمةً من فوائد الذكر، تصبو له كلُّ نفس، ويتطلَّبُها كلُّ قلبٍ؛ ألا وهي طُمأنينة القلب.

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد).

ذَكَر سبحانه في هذه الآية أنَّ المهتدين هو الذين آمنوا به، واطمأنَّت قلوبُهم بذكره، ثم بيّن أنَّ القلوب إنما تطمئن بذكر الله، فلا تطمئن بغيره!

وفي هذه الآية معنًى لطيفٌ يلامِسُ شغافَ القلب، وهو أنَّ اللسانَ قناةٌ إلى القلب، وقد تزول هذه القناةُ لأيِّ سببٍ أو عِلَّة ويبقى الإنسانُ حيًّا، لكنَّ الذِكرَ الذي يُورث الطمأنينة هو ما كان ناشئًا من القلبِ أولًا، فلا يعجز عنه حيٌّ أبدًا إلا مَن كان محرومًا، فإذا امتلأ القلب تعظيمًا لله وإجلالًا؛ انبعث مع اللسان في الذكر، فحصلَت الطمأنينة التامَّة!

اللّٰهُمَّ اجعلنا ممن يذكرك ذِكرًا كثيرًا، ويُسبِّحُك بكرةً وأصيلًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾[1]

سلامة الصدر نعمة لا يُدركها إلا قلائل الناس، وهي في الوقت ذاته صورة من صور النعيم التي يزهد فيها كثير من الخلق، ومن عجيب أمرها أنّ التنعّم بها تخطى حدود الدنيا ليكون أحد صور النعيم في جنات الخلد، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ (الحجر: ٤٧)، وهذه الجملة المُصوِّرة لهذه النعمة تأتي واسطة العقد لمجموعة من صور النعيم التي أعدها الله للمتقين يوم يلقونه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الحجر) هذه عشرة أنواع من النعيم للمتقين: الجنات، والعيون، والسلام، والأمن، وسلامة الصدر، والأخوّة، والتنعم بالسُّرُر، والتقابل، والسلامة من التعب، وعدم الخروج من ذلك النعيم.

وهذا الحشد من صور التنعّم والراحة، توسطه قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾؛ لأن سلامة الصدر ونقاءه هو أسّ السعادة وأصل الهناء، وتأمل أيضًا إلى فعل ﴿ وَنَزَعۡنَا ﴾ حيث إن المتحدث هو رب العالمين، فهو المتفضل بهذه النعمة على عباده المتقين، فمهما صفّى الإنسان قلبه، ونظّف صدره؛ فلابد أن يبقى شيء يتناسب مع حال الدينا بما فيها من الكدر والأذى، بينما في الجنة التي هي غاية النعيم بما فيها من صور التنعّم لا يناسبها إلا

---

(١) كتبه: أ. د. عويض بن حمود العطوي، وكيل الدراسات العليا بجامعة تبوك.

النظافة الكاملة، وهنا يأتي النزع الذي يُشعر بإخراج الشيء من جذوره، بحيث لا يبقى له أثر، وهذا ما يعجز عنه البشر، ويتفضل به رب البشر على من يشاء من عباده في دار النعيم.

والتعبير بـ(ما) في ﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾ تشير إلى كل شيء يمكن أن ينغّص عليهم نعيمهم، ولما كان الصدر هو الموضع الذي يشعر فيه الإنسان بالهمّ، فتجده أحيانًا يزفر زفرات لينفّس عن ما في نفسه، قال تعالى: ﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾.

ثم خصص بعد العموم فقال: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ وذلك لأن الغل وهو الحقد، هو أعظم ما يجلب للإنسان التعاسة والبؤس وضيق الصدر، وما أعجب حال الناس يحملون في صدروهم ما يجلب لهم الأذى، ولو أنهم تسامحوا ونظفوا صدورهم، لسعدوا في الدنيا قبل الأخرى، ذلك لأن أقل الغل يمنع النعيم الكامل؛ لذا قال سبحانه في شأن الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أيْ: أيّ جزء من الغل.

واعلم يا مؤمن؛ إن أُنسَك بالأصحاب والإخوان لا يكتمل إلا بهذه الصفة (سلامة الصدر)؛ لأن الله قال بعدها: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ فلم يذكر الأخوة والتقابل إلا بعد ذكر سلامة الصدر ونظافته.

فما أنتَ قائلٌ بعد هذا؟!

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ حديثَ القرآن عن الآخرة، وفضلِها، وعظيمِ منزلتها، وكونِها أحقَّ بالإيثار من الدنيا، حديثٌ كثيرُ الذكر، كثيرُ الوُرود، بل إنَّ (سورةَ الأعلى) من السُّوَرِ التي يُسنُّ قراءتُها في مواضعَ من الصلَواتِ: كصلاةِ الجُمعة، وركعتي الشفع قبل الوتر، فيها تأكيدٌ لهذه الحقيقةِ العظيمة، وهو أنَّ حالَ أكثر الناسِ أنهم يؤثرون دُنياهم مع زوالها على أُخراهم مع خيريَّتها وبقائها، فيقول الحقُّ ﷻ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ (الأعلى) وقفتُنا في هذا المجلس مع إحدى هذه الآيات، التي تذكر المقارنات بين الناس في اختلاف المقاصد والنيَّات، فيقول الحقُّ ﷻ بعد أن ذكر حالَ مَن كان يريد العاجلة -وهي الدنيا- وأنه ليس له منها إلا ما كُتب له، ذكر حالَ مَن يقابِلُهم وهم رُوَّاد الآخرة، فقال: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ (الإسراء) وإنَّك إن تأملتَ هذه الآيةَ، لوجدتَ عجبًا عُجابًا في حُسنِ سَبْكِها، وجمالِ وَقْعِها، واستكمالها لشروطِ العمل الصالح!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

ففي أوَّلها: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ فهذا ذِكرٌ لنيَّةِ القلبِ، وإخلاصُ القصد فيها، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا ﴾ فلا يكونُ المريدُ للآخرةِ صادقًا في إرادته حتى يُتبِعَ إرادتَه بالسعي والعملِ، وإلا كان ذلك مجرَّدَ ادِّعاء!

ثم لم تنتهِ الآية هنا، بل قال الحقُّ ﷻ: ﴿سَعْيَهَا ﴾ فأضافَ السعيَ للآخرة، وهذا يُحقِّقُ بعد شرط الإخلاصِ -لأنَّ سعيَ الآخرة يكون خاليًا من الرياء والتسميع- شرطَ المتابَعةِ وعدمِ الابتداع، فليس كلُّ سعيٍ يكونَ مقبولًا إلا سعيَ الآخرة، وهو صِراطُ الله المستقيم، ثم قال: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: بالله والدار الآخرة، مُصدِّقٌ بوعدِ الله للمؤمنين، لا يشكُّ ولا يرتاب، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ مقبولًا عند الله!

فتأمَّلْ.. كمْ في هذه الآية من العظةِ والتذكير والترغيب والترهيب!

اللَّهُمَّ اشرح صدورَنا بتدبُّر كتابك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

هل لنا -معاشرَ الأكارم- أن نتخيَّل رجلًا قويمَ البدن، قسيمَ الوجهِ، طَلْعَ البهيَّة، إنْ مرَّ بطريق الناسِ، التفتوا إليه، وإن تحدَّثَ في مجلسهم، أصغَوْا إليه، وإن جاءَ في محفلهم، ابتهجوا به وقدَّموه.. ثم يأتي يومَ القيامةِ؛ هُو هُوَ لا يَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة! فيا لَلهوانِ ويا للذِّلَّة!

في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة لا يزن عند الله جناحَ بعوضة.. اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[2]!

نعم؛ هذه هي الآيةُ التي سيدور عليها تَدَبُّرُنا في هذا المجلس، فإنَّهم أناسٌ يأتونَ يومَ القيامةِ لا وزنَ لهم؛ فليس لهم حسناتٌ ترفعهم، بل هم الأخسرون أعمالًا، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ (الكهف) وسببُ هذا الهوان يوم القيامةِ كما ذكره الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾ (الكهف) فقد كفروا بآياتِ الله، وكفروا بلقائه في الآخرة، واتخذوا آياتِ اللهِ ورسولَه محلَّ استهزاءٍ وتندُّر!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

(٢) البخاري ح(٤٧٢٩)، مسلم ح(٢٧٨٥).

فيا اللهِ، أين ذهبت منزلتُهم في الدنيا؟! وأين ذهبت أُبّهاتُهم؟! وأين صولاتُهم وجولاتُهم؟! وأين عِنادُهم وتحدِّيهم وكِبْرُهم؟! كلُّ ذلك زالَ واندثر، وأصبحوا لا يزنون جناحَ بعوضة!

فهل بعد هذا يغترُّ مسلِمٌ بأُبَّهةِ كافرٍ معاندٍ؟! فأين أبو جهلٍ الذين ملأ مكةَ سطوةً وعُتوًّا؟! وأين فرعونُ الذي قالَ أنا ربُّكم الأعلى؟! وأين عادٌ وثمود؟! وأين قارون والنمرود؟! وأين الملِكُ الذي أحرَق أصحابَ الأخدود؟! سيأتون جميعًا يومَ القيامةِ لا وزنَ لهم!

اللَّهُمَّ ثبِّتنا على دينك القويم، وصراطك المستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ أوَّلَ شيءٍ قد يلفتُ نظرَك وأنت تقرأ هذه الآية أنَّ الله ﷻ بعد أنْ ذكر في مَطلَعِ سورة الأنبياء -التي يُسميها بعضُ العلماءِ سورةَ العبادة- أنَّ حسابَ الناس قد اقترب، وأنهم في غفلةٍ مُعرِضون، ذكرَ اللهو، وأضاف هذا اللهوَ إلى القلوبِ، ونحن لا يكاد يتبادرُ إلى أذهاننا عن سماع (اللهو) إلاَّ لـهْوُ الجوارح: كأنْ تكونَ العين لاهيةً بالنظر إلى المحرَّمات وفضول المباحات، وأن تكون الأُذن لاهيةً باستماع ما لا يحِلُّ استماعُه، أو مشغولةً بتتبُّع الأخبار المفضولة، والحكايات المرذولة، أو أن يكون اللسانُ لاهيًا بالأحاديثِ المحرَّمة: من غيبةٍ ونميمةٍ ونحوها، أو بالكلام المفضول الذي قد يضرُّ ولا ينفع، أو أن يكون لاهيًا بالتنقُّلِ من مَلهى إلى ملهى، ومن مكانٍ لآخر بلا أهدافٍ دينيةٍ ولا دُنيويَّة تعود عليه بالنفع في الدنيا أو الآخرة، بل لمجرَّد اللهو والعبث وإحراق الأوقات.. وهكذا في سائر لهوِ الأعضاء والجوارح.

هذا ما يتبادر في أذهانٍ كثيرٍ منَّا عندما نسمع كلمةَ (لهو)، لكنَّ الله ﷻ أضافَ اللهوَ للقلوبِ لا للجوارح؛ لسرٍّ بديع، وحكمةٍ لطيفة.

---

(١) كتبه: الشيخ مهند بن حسين المعتبي، إمام وخطيب جامع عبدالله بن عباس بجازان.

وذلك أنَّ القلبَ مَلِكُ الأعضاء، ومركزُ التحكُّم، فإذا كان القلبُ لاهيًا، ضعيفَ الحياة، بارد الإحساس، مُنْطَفِئَ النور، انشغلت الجوارح باللهو، وإذا كان القلب متعلِّقًا بالله، متوقِّدَ الإحساس، عظيمَ النور، أثَّر ذلك على انضباط الجوارح، فكانت الجوارحُ منقادةً للقلبِ الحيِّ، لا تتجاسرُ على معصيةٍ، ولا تتعمَّد تركَ واجبٍ؛ لأنَّ القلبَ هو الذي يأمرُها وينهاها.. ويؤيِّد هذا قولُ النبيِّ ﷺ: **«إلا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلَحت صلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدت فسَد الجسدُ كلُّه؛ ألا وهي القلب»**[1]!

فحريٌّ بنا أن نتعاهدَ قلوبَنا، وأن ننفُضَ عنها غُبارَ الغفلة، وأنْ نُصلِحَ ما فسدَ منها؛ فالقلبُ محلُّ نظرِ الربِّ، وهو ﷻ لا ينظر إلى صُوَرنا ولا إلى أجسامنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.

اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا، واجعلها حيَّة بذكرك، منشغلةً بطاعتك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) البخاري ح(٥٢)،مسلم ح(١٥٩٩)،ابن ماجه ح(٣٩٨٤)، أحمد ح(١٨٣٧٤).

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ من أعظم غاياتِ الإنسانِ في حياتِه مسلمًا كان أو غيرَ مسلمٍ: أن يكون له هدفٌ يسعى لتحقيقه، فإذا تحقَّق ذلك سُمِّيَ ذلك (نجاحًا)، وهو ناجح، فالنَّجاحُ في أمرٍ ما يُعدُّ هدفًا للإنسانِ في أيِّ مجالٍ يريدُه.

إلَّا أنَّ هناك كلمةً هي ألطَفُ لفظًا، وأعمقُ معنًى، وأوسعُ أثرًا؛ وهي كلمةُ (الفلاح)!

أتدري ما (الفلاح)؟! وهل خطر ببالِك يومًا وأنتَ تسمعُ المؤذنَ يرفعُ صوتَه مناديًا للصلاةِ: (حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح)؟! وهل فكَّرتَ مَلِيًّا في سرِّ الجمعِ بين الصلاةِ والفلاح؟!

إنَّ الفلاحَ -كما يقرِّره العلماء- هو الفوز بإدراك المطالِب، بل قال جمعٌ من العلماء: وليس في كلامِ العربِ كلمةٌ أجمعَ للخير من لفظة (الفلاح)!

وفي هذا المجلِسِ نقفُ وقفةً عند قولِ الحقِّ ﷻ في مطلَعِ (سورة المؤمنون): ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وهي سورةٌ ترسِم خارطةَ الطريق للفلاح الأبديِّ، وتبيِّن عوائق هذا الطريق؛ ولذلك افتُتِحت بذكر فلاح المؤمنين، واختُتِمت بذكر عدمِ فلاحِ الكافرين!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

ومما يذكرُه أهلُ البلاغةِ؛ أنَّ الحرفَ (قدْ) إذا دخل على الفعلِ الماضي أفاد تحقُّقَ معناه، فالفلاح للمؤمنين حقٌّ لا شكَّ فيه ولا تردُّد، وهو وإن كان جزاؤهم في الآخرةِ إلاَّ أنه متحقِّق بلا ريب..

وقد جاء هذا في القرآن في ثلاثةِ مواضع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ (الأعلى)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾. (الشمس).

ثمَّ بعدما ذكرَ هذه الحقيقةَ -وهي فلاحُ المؤمنين- لم يترك تفصيلَ أحوالهم، فلا يقولُ قائلٌ: ومَن هؤلاء المفلِحون؟! بل بيَّن لهم أعظم البيانِ أوصافهم، وفصَّل أحوالهم، وذكر من أعظم خِصالِهم ثمانيةَ أعمالٍ من أعمالهم الجليلة، التي مَن امتثلَها فقد خالطَت بشاشةُ الإيمانِ قلبُه، وهي: الخُشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظُ الفروجِ من الحرام، ومراعاة الأمانة والعهد، والمحافظة الدائمة على الصلاة.

ولذلك فإنَّ الفلاحَ الأبديَّ من أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون!

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المؤمنين، وأوليائك المفلحين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ مِن أعظمِ المشاريع الشخصيَّة الأُخرويَّة، التي يكون العملُ فيها في الدنيا، والجزاءُ عليها في الآخرة، هو أن يأتي الإنسانُ ربَّه يومَ القيامةِ بقلبٍ سليم!

سليمٌ من الشرك معمورٌ بالتوحيد، سليمٌ من الشكوك معمورٌ باليقين، سليمٌ من الشبهات التي تُعارِضُ خبرَ الله، ومن الشهوات التي تُعارِض أمرَ الله ونهيَه. وذلك أنَّه من أعظم موازين النجاة يوم القيامةِ.

ومجلسُنا التدبُّريُّ هنا حول قولِ الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء).

ومن اللطائف أنَّ هذه الآية جاءت في الثناء على إمامِ الموحِّدين إبراهيم عليه السلام وقد ذُكِرَ (القلبُ السليم) في القرآن مرَّتين، كلا الموضِعَين جاء مع ذكرِ إبراهيم عليه السلام هذه الآية في الشعراء، وقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾، وجاء ذِكرُ القلبِ كذلك عن إبراهيم في قوله تعالى له لما طلبَ من ربِّه أن يُريَه كيف يحيي الموتى: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

إنَّ آيةَ سورة الصافَّات في الثناء على إبراهيم ﷺ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مع هذه الآية في سورة الشعراءِ؛ لَتُقَرِّرُ بجلاءٍ حقيقةً قرآنيَّة: أنَّ مدار الصلاح في الدنيا، والفلاحِ في الآخرة على صلاحِ القلبِ وسلامته، وأنَّ القلبَ من أعظم ما ينبغي أنْ يُعتَنى به: تزكيةً وتربيةً وإصلاحًا وتهذيبًا؛ لِيَأتي العبدُ ربَّه يومَ القيامةِ سليمَ القلبِ، فيُكرمُه ربُّه بالجنَّة.

فاللهَ اللهَ في الاعتناء بالقلوب؛ لننجوَ في يومٍ تتقلَّبُ فيه الأبصار والقلوب!

اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا، وزكِّ أعمالنا، واهدنا سُبُلَ الرشاد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾[1]

هذه جزء مما قاله والد الفتاتين اللتين سقى لهما موسى ﷺ حين ورد ماء مدين:

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ (القصص) وفيه من الفوائد:

١- السماحة في العقود واللين فيها ولو كانت عقود معاوضة كما قال النبي ﷺ: «**رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى**»[2].

٢- أنه يجوز للإنسان أن يثني على نفسه ما يعلم فيها من الخير إذا اقتضت المصلحة ذلك حيث قال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾.

٣- من هدايات الآية أن يكون غرض الإنسان من عقود المعاوضة كالإجارة هو المصلحة المترتبة عليها لا المشقة على العامل.

٤- أثر النية الصالحة في تمام العقود وكمالها، فقد كان الجزاء من جنس العمل، حين أتم موسى الأجل، وقد قال ﷺ: «**فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما**»[3].

---

(١) كتبه: د. عبدالله بن بلقاسم بن عبدالله.

(٢) البخاري ح(٢٠٧٦)، ابن ماجه ح(٢٢٠٣)، ابن حبان ح(٤٩٠٣).

(٣) البخاري ح(٢٠٧٩)، مسلم ح(٢٠٧٩)، أبو داود ح (٣٤٥٩)،الترمذي ح(١٢٤٦)، النسائي ح(٤٤٥٧).

٥- فيه أثر الإعلان عن نية الإنسان الطيبة تجاه الآخرين، وأثرها في توطيد العلاقة؛ ولذا أرشد النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**إذا أحب أحدكم أخاه، فليعلمه أنه يحبه**»[(١)].

٦- أن في عقود المعاوضة من المماكسة والتفاوض ما قد يوغر الصدور؛ لذا ينبغي على المتعاقدين أن يطيبا الكلام.

٧- أن من خرج في سبيل الله، فإن الله يلطف به ويرحمه ويقيض له من يرأف به ويحسن إليه.

٨- مهما كانت المودة بين الصالحين، فلا يمنع من التعاقد والتشارط، وأن ذلك أبعد من حصول الاختلاف والتنازع.

٩- فيه الرحمة بالعمال والأجراء ففي قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ (القصص)، إشارة إلى عدم الاستقصاء والاستيفاء منهم.

١٠- فيه حفظ الجميل فإن الرجل الصالح وإن شارط موسى ﷺ، لكنه حرص على التلطف به في الكلام؛ رعاية لسابق جميله.

---

(١) أبو داود ح(٥١٢٤)، أحمد ح(١٧١٧١).

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ من أجلِّ العبادات، وأزكى القُربات التي جاء في القرآنِ الحثُّ عليها، والثناءُ على أهلها، والتأكيد على علوِّ شأنها: قيامَ الليل!

فإنَّ القيام في ظُلُماتِ الليل بين يديْ ربِّ العالمين دَأبُ الصالحين، وشرَفُ المؤمنين، وهو عبادةٌ لا حظَّ للنفسِ فيها؛ ولذلك يتمحَّضُ فيه الإخلاص، فإنَّه عبادةٌ خفيَّة، وفي وقتِ هجوعٍ وراحةٍ، والنفسُ داعيةٌ إلى الفراش، ولا يقومُ إلا مَن له عزمٌ وجِدٌّ!

لو قلَّبتَ الآياتِ الواردةَ في ذلك؛ لوجدتَ كلامَ المولى ﷻ في ذلك متفرِّقًا في السُّوَر: كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ ﴾ (الإنسان)، وقولِه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ (الإسراء)، وقولِه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾ (الطور)، وقولِه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ ﴾ (ق)، وقولِه: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ ﴾ (الذاريات) وغيرُها آياتٌ كثيرة، والأحاديث في ذلك أكثر، فأيُّ شرفٍ لصاحب قيام الليل كهذا الشرف؟!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

ومجلِسُنا هذا حول آيةٍ من هذه الآياتِ التي فيها الثناء على أهل الليل، جاءت بلفظٍ عجيب، وأسلوبٍ عظيم.. فلما ذكر الحقُّ ﷻ أنَّه لا يؤمن بآياتِه حقَّ الإيمان إلا مَن إذا ذُكِّر بها خرَّ ساجدًا، وسبَّح بحمده من غير استكبارٍ، قال بعد ذلك في وصفِهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة: ١٦).

فتأمَّل كيف أسند التجافي عن مواضع النوم إلى الجُنُوب، والجنوبُ ما هي إلا جوارِحُ تابعةٌ للقلب، والقلبُ محلُّ النشاط والكسل، لكنَّه لما كان القلبُ متيقِّظًا مستعدًا للعبادة، فكأنَّما الفِراشُ والجَنْبُ متباغضان، فالجنبُ ينفرُ ويتجافى عن مضجعه؛ رغبةً في القيام بين يدي الله!

فهنيئًا لمن شرَّفه الله بالقيام بين يديه في ظُلمات الليل، فهذه الآية في قيام الليل عند جمهور المفسرين، وقد قال بعضُهم بأنَّ من صلَّى العشاء والفجر في جماعةٍ أخذ من هذه الآية بنصيب!

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهلك وخاصَّتك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فحديثُ هذا المجلسِ التدبُّريِّ سيكونُ عَبِقًا ذا رائحةٍ أزكى من الطيبِ بلا شكٍّ؛ لأنَّه حولَ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ (الأحزاب) إنَّنا لا نكاد نستطيعُ أن نتخيَّلَ الحجمَ الحقيقيَّ لمحبَّةِ النبيِّ ﷺ في قلوبِ أصحابه، وكيف لا تكونُ محبَّتُهم له عظيمةً، وبهِ أخرجهم الله من الضلالِ إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الرَّشاد؟!

تأمَّلْ كيف حَرَصُوا بعد نزول هذه الآيةِ على تعلُّمِ الصفةِ الكاملة للصلاةِ عليه ﷺ.

ولا تتعجَّبْ أن تعلمَ أنَّ صحابيًا ككعبِ بن عجرةَ رضي الله عنه لما تعلَّم صفةَ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ رأى أنَّ تعليمَ ذلك لإخوانه من الهدايا!

ففي الصحيحين من حديثِ ابن أبي لَيلى قالَ: لَقِيني كعبُ بنُ عُجْرَةَ، فقال: ألا أُهْدِي لك هَدِيةً؟! خرج علينا رسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقلنا: قد عرفنا كيف نُسلِّمُ عليك، فكيف نُصلِّي عليك؟! قال: «**قولوا: اللهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ، وعلى آل مُحمَّدٍ، كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللهُمَّ بارك على مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحمَّدٍ، كما باركت على آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ**»[2].

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

(٢) البخاري ح(٣٣٧٠)، مسلم ح(٤٠٦)، أبو داود ح(٩٧٦)، النسائي ح(١٢٨٩)، ابن ماجه ح(٩٠٤).

إنَّك حينما تصلِّي وتُسلِّم على رسولِك ﷺ، فإنما تسألُ الله تعالى أن يُثني عليه في الملأ الأعلى، وأن يزيدَه تشريفًا ورِفعةً، وذلك مما يحبُّه رسول الله ﷺ؛ ولذلك كان من جزاءِ مَن يصلي عليه مرَّةً؛ أن يُصلِّيَ الله عليه عشرًا.

والصلاةُ على النبيِّ ﷺ أداءٌ لأقلِّ القليل من حقِّه، وشكرٌ له على إحسانِه إلينا.

وقد ذكر ابنُ القيِّم رحمه الله في كتابِه القيِّم: (جِلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام) أكثر من أربعين ثمرةً من ثمار الصلاة والسلام عليه ﷺ، وهو كتابٌ مفيدٌ جدًا.

اللَّهُمَّ اجزِ نبيَّنا محمدًا عنَّا بأفضل ما جزيتَ نبيًّا عن أمَّتِه، وأدمِ الصلاةَ والسلامَ عليه أبدًا يا ربِّ العالمين.

﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ الله تبارك وتعالى يُغْدِقُ على عبادِه مِنَنًا عظيمة، ويُسبِغُ عليهم نعمًا جسيمة، ظاهرةً وباطنة، حسيَّةً ومعنويَّة، وقد جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلَّهم يشكرون.

ولكنْ ليس من نعمِ الله نعمةٌ أجلَّ ولا أعظمَ من أنْ يصفيَك من بين عباده، وأنْ يجتبيَك من سائر خلقه؛ لتكون من أهله وخاصَّته، بالعلم النافع، والعمل الصالح!

وهذا ما امتنَّ الله به على أنبيائه، ومنهم إبراهيم وابنه إسحاق وحفيدِه يعقوب عليهم السلام فقال تبارك وتعالى في الثناء عليهم: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ص) فهم أولوا العمل الصالح: وهو القوَّة الجسديَّة المشار إليها بالأيدي، وأولوا العلم النافع: وهي القوَّة العِلميَّة المُشار إليها بالأبصار، (فهم أهلُ القوَّةِ في العبادة، والبصيرةِ النافذة) كما قاله ابنُ كثير رحمه الله[2].

وأعظمُ الفضلِ في ذلك كلِّه أنَّ الله أمدَّهم بأعظم المَدد، وأقوى العُدد؛ وهي ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم؛ فقلوبهم حيَّة أبدًا بذكر الآخرة، فمنها يستمدُّون قوَّة أبدانهم على الطاعة، وقوَّة أبصارهم في الحقِّ، ويَدعُون الناسَ إلى ذِكر الآخرة؛ فهي دار المقرِّ بعد دار الممرِّ، وفيها الحياة الأبديَّة الخالدة.

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/٧٦).

فيقول الله عن هذه الخصيصة: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ ﴾ (ص).

قال القرطبي: «إنا أخلصناهم بأنْ يذكروا الدارَ الآخرةَ، ويتأهَّبوا لها، ويَرغَبوا فيها، ويُرَغِّبوا الناسَ فيها»[1].

* ولذلك؛ فإنَّ قوَّة العبدِ في بدنه على طاعة الله، وقوَّة بصيرته في الحقِّ والعلم، ناتِجٌ عن حياة قلبه، وامتلائه بذكر الآخرة، فإذا كان القلبُ بذكرِ الدنيا معمورًا، وعن ذكر الآخرة محسورًا، ثَقُل بدنُه في العبادة والطاعات، وضعُفَت بصيرتُه في الحقِّ والمشتبهات، وسار إلى الله سيرًا ضعيفًا لا قوَّة فيه ولا عزيمة!

فالشأنُ كلُّ الشأنِ في إعمار القلوب بذكر الآخرة، فلا يريدُها صادِقٌ إلا سعى لها سعيَها الحثيث.. ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ (الإسراء) اللّٰهُمَّ أصلح قلوبنا، واجعلها حيَّة بذكرك، منشغلةً بطاعتك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢١٨).

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ المؤمنَ يسير إلى ربِّه على طائرٍ؛ جناحاه: الخوفُ والرجاء، ورأسُه المحبَّة، وبهذا يثبُتُ سيرُه، ويستقيمُ دربُه، فلو غلَّبَ الخوفَ على الرجاء، فلربَّما قنِط من رحمة الله، ولو غلَّب الرجاء على الخوفِ، لربَّما أمِنَ مكرَ الله، ولو عبد الله بلا محبَّةٍ، لكانت عبادتُه جافَّةً لا رُوحَ فيها!

وكُلَّما ازدادُ المؤمنُ معرفةً بالله وتقرُّبًا إليه، عظُمتْ خشيَتُه، وعظُمَ خوفُه، وازدادُ رجاؤه؛ ولذلك فإنَّك لن تعجَبَ إن علمتَ أنَّ الآيةَ التي سنقفُ معها في هذا المجلسِ، وهي قولُه تعالى في سورة الزمر: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الزمر) جاءتْ في سياقِ ذكر حَسرةِ الظالمين -وهم الكافرون- وأنَّه لن ينفعهم شيءٌ يومَ القيامةِ يفتدون به ولو أنَّ لهم الأرضَ كلَّها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الزمر) بل وسيظهر لهم في ذلك اليومِ من صنوفِ العذاب، ودقَّةِ الحساب، وعدل الميزان، وسجلِّ الأعمال، ما لم يكونوا يتوقَّعونه أبدًا!

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

ولكنْ؛ لما كان أصلُ ظلمِ النفسِ في جنبِ الله لا يكاد يسلمُ منه إنسانٌ، وأنَّ الله قد قال -وقوله الحقُّ- في سورة الزلزلة: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة)، خاف كثيرٌ من السَّلفِ من هذه الآية خوفًا عظيمًا، حتى قال بعضُهم: إنها أخوفُ آيةٍ في كتابِ الله[1]!

وذلك أنَّ الإنسانَ قد يعملُ أعمالًا هي من سخط الله، ولا يُلقي لها بالًا، فيتفاجئ بها يوم القيامةِ في ميزان سيئاته!

وحقًّا؛ إنَّها آيةٌ مخيفةٌ جدًّا، ترتعدُ لها فرائصُ المؤمن؛ خوفًا من هذا المشهد، وكان الإمام سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآيةَ قال: «ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء»[2]!

اللَّهُمَّ قِنا عذابَك يوم تبعثُ عبادَك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الدر المنثور (٧/٢)

(٢) تفسير النسفي (١٨٥/٣).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإنَّ هذا القرآنَ عظيمُ الشأنِ، جليلُ المنزلة، مناقِبُه جسيمة، وفضائله عظيمة، تكلَّم به ربُّ العالَمين، ونزل به الروحُ الأمين، على خير المُرسلين، بلسانٍ عربيٍّ مُبين.

فتعالَوا نتدبَّرُ آيةً من آي الكتابِ تدلُّ على فضلِه، وفضلِ ليلةِ نزوله.

قال الحقُّ ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ (الدخان: ٣) فالقرآن إذن نزل مِن عندِ الله، من السماءِ إلى الأرض، ونُزُولُه كان في ليلةٍ لا كالليالي، فقد نزلَ في ليلةٍ كثيرةِ البركة، عظيمةِ الشأن، في ليلةٍ هي خيرٌ من ألفِ شهر، كما قال الله عنها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ (القدر) فهذه الليلةُ ليلةُ القرآن، فلن تكونَ كسائرِ الليالي أبدًا.. فهي مباركةٌ في نفسها، مباركةٌ بتشريف الله لها، مباركةٌ بتفضيلها على سائر الليالي، مباركةٌ بخيريَّتها وحدَها على أعوامٍ تتجاوزُ ثمانينَ عامًا، مباركةٌ ببركةِ القرآن الذي نزل فيها.

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

هذه الليلة المباركة كان النبيُّ ﷺ يُحييها صلاةً وقرآنًا وذِكرًا ودعاءً وتَضَرُّعًا، وكان ﷺ يحثُّ أمَّته على إحيائها، ومما جاء في فضلِها قوله ﷺ في حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه في الصحيحين: «**من قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[1].

فهل سيفرِّطُ العاقِلُ في هذه الليلةِ وفيها من المغانِم ما لا يحصيه إلاَّ الله؟!

وهل سيُحييها بغير القرآن والصلاةِ والدعاء والقيام والبرِّ والإحسان؟!

وهل ستكون هي وسائر أيَّام العامِ سواء؟!

هنا يتفرَّق الناس، ويتبيَّن العقلاء، ويظهرُ للمرءِ فقهُه وحِرصُه وأولوياته.. وليتذكَّر دائمًا كلَّما لاح له فضلُ هذه الليلةِ؛ أنَّها ليلةٌ مباركَة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾!

اللَّهُمَّ وفِّقنا لقيام ليلةِ القدرِ إيمانًا واحتسابًا، وتقبَّل مِنَّا يا ذا الجَلالِ والإكرام.

(١) البخاري ح(١٩٠١)، مسلم ح(٧٦٠)، أبو داود ح(١٣٧٢)، الترمذي ح(٦٨٣)، النسائي ح(٢١٩٣)، أحمد ح(١٠١١٧).

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]

إن كلمة التوحيد -لا إله إلا الله- هي أساس الدين، وحصنه الحصين، وطريقه القويم، وصراطه المستقيم.

ولهذه الكلمة المكانةُ العظمى في دين الإسلام؛ فهي أول ركن من أركان الإسلام، وأعلى شعبة من شعب الإيمان، وهي أول واجب على المكلف، وآخر واجب عليه، وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها.

أما معناها الحق الذي لا ينبغي العدول عنه فهو: لا معبود حق إلا الله.

وللشهادة ركنان:

١- نفي في قوله (لا إله) أي: نفي الألوهيــة عن كل ما ســوى الله.

٢- إثبات في قوله (إلا الله) أي: إثبات الألوهية لله وحده لا شريك له.

وهذا الأسلوب يعرف بأسلوب القصر، وهو من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكــلام وتقريــره في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شكٍّ.

وطريقُ القصر في كلمة التوحيد:النفي والاستثناء.

وقد ذكر العلماء لها شروطًا سبعة، لا تصح إلا إذا اجتمعت، واستكملها العبد، والتزمها بدون مناقضة لشيء منها.

---

(١) كتبه: د. محمد بن إبراهيم الحمد، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، والمشرف العام على موقع دعوة الإسلام.

وليس المرادُ من ذلك عدَّ ألفاظِها وحِفْظَهَا؛ فكم من عامي اجتمعت فيه، والتزمها ولو قيل له: عَدِّدْها لم يحسن ذلك.

وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها.

وهذه الشروط مأخوذة بالتتبع والاستقراء، وقد نظمها الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله بقوله:

العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فَادْرِ ما أقول

والصدقُ والإخلاص والمحبةْ ... وفَّقكَ اللهُ لما أحبه

وأضاف بعضهم شرطًا ثامنًا ونظمه بقوله:

وزيد ثامنُها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأوثان قد ألها

وهذا الشرط مأخوذ من قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه**»(١).

هذه هي الشروط السبعة مع زيادة الشرط الثامن على وجه الإجمال.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حبه وحب من يحبه والعمل الذي يقربنا إلى حبه إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فإن الإنسان في حياته يرى أناسا لا يحصي عددهم إلا الله، يخالط ويعاشر ويحدث ويقابل خلقا تختلف لغاتهم، وبلدانهم، وأشكالهم، وصورهم، وأحوالهم، وأهدافهم.. وقد يخيل إليه بادي الرأي أن هذا ضال، وذاك مهتد بناء على قرائن يستند إليها.

إلا أن هذا قد يكون صوابا، وقد يكون خطأ، وقد يكون محتملا، لكن الحقيقة المطلقة؛ أن من يعلم حقائق الناس وبواطنهم، هو الله وحده العليم الخبير!

هذا هو موضوع هذا المجلس التدبري حول قول الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾ (النجم) إن الإنسان مهما أظهر من خير أو شر، ومهما أتقن دور التمثيل على خشبة مسرح الحياة، ومهما أخفى ومهما أسر، فإن الناس لن يعلموا ذلك على وجه الحقيقة والقطع، وإنما يعلم ذلك حقا الله وحده تبارك وتعالى.

فأي شر لرجل يظنه الناس من أهل الخير والصلاح والهداية، وهو عند الله ليس كذلك، فهو أعلم بمن اهتدى؟! وأي خير لرجل لا يأبه به الخلق ولا يرونه شيئا، وهو عند الله من الأخيار المهتدين؟!

---

(١) إعداد اللجنة العلمية بمركز تدبر.

فتدبر هذه الآية، والتفكر فيها يحي النفس من الأدواء، ويوقظ القلب من الغفلة، فيصبح غاية تفكير الإنسان في إصلاح قلبه، وتزكية نفسه، تصحيح قصده، ومراقبة سيره؛ لأنه يعلم أن الله هو العالم حقا بحقيقة المهتدي وغير المهتدي، وأنه ﷻ يستوي عنده العلم ببواطن الأمور وظواهره، كما قال عز وجل: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ (الرعد)، وأن أنظار الناس وتقييمهم وميزانهم لا يرفع عند الله وضيعًا، ولا يضع عنده رفيعًا.

اللَّهُمَّ زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1]

حينما يقلّب أحدنا محركًا من محركات البحث على الشبكة العالمية للبحث عن معلومةٍ ما، فإنه يفاجأ بكمٍ هائل من النتائج التي ظهرت، والتي تذكر متى حفظ هذا المقطع أو تلك المقالة والتغريدة باليوم والساعة بل والدقيقة!

هنا.. يُصاب بعضنا بالدهشةِ والذهولِ من كثرة النتائج ودقّتها! وحُقَّ له ذلك!

فكيف إذا علم أن هذه النتائج إنما هي فقط منذ بدأ عمل محركات البحث هذه! وأنها لا تحفظ ولا تسجل سوى ما نُشِرَ على الشبكة العالمية! فكم غاب عنها من أعمال السنين والقرون الماضية؟ وكم خفي عليها مما لم يُنْشر في على شبكة المعلومات؟ وكم غاب عنها من أعمال القلوب التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله! هنا يقع قوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ (المجادلة: ٦) موقعه من القلب، هيبةً وإجلالًا!

أما الهيبة: فتمثر خوف كل واحدٍ منا -أيها الإخوة- من هذا الإحصاء الدقيق الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، سواء من عمل القلوب أم من عمل الجوارح!

---

(١) كتبه د.عمر بن عبدالله المقبل، الأستاذ المشارك بكلية الشريعة بجامعة القصيم، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

وأما الإجلال: فإن هذا الحال يورث العبد تذكر سعة علم الله، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض، فيورثه ذلك الحياء من الله، أن يراه على حالٍ لا يحبها ولا يرضاها، وأن يحاسب نفسه عند التقصير والزلل.

وقف بعض الصالحين مع نفسه محاسبًا لها، وقد بلغ الستين من العمر، فعدَّ أيامه فإذا هي واحدٌ وعشرون ألف يوم وخمسُمائةِ يومٍ، فصرخ وقال: يا ويلتي أألقى الله بواحدٍ وعشرين ألف ذنب لو كنت لم أذنب إلا ذنبًا واحدًا في كل يوم؟ فكيف وهي ذنوب متتابعة؟!

فهكذا ينبغي أن يحاسب الإنسان نفْسَهُ على الأنفاس، وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة، ولو رمى العبدُ بكل معصيةٍ حجرًا في داره؛ لامتلأتْ دارُه في مدةٍ يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[1].

اللَّهُمَّ ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، واجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٠٦).

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1]

نودي رسول الله ﷺ في مطلع سورة المزمل وهي من أوائل القرآن نزولا بهذا النداء اللطيف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ أي: يا أيها المتلفف خوفًا مما نزل عليك، لا تلجأ إلى الفراش طلبًا للاستئناس واستعادة الطمأنينة إلى قلبك وإسكان وجيف فؤادك؛ بل عليك بقيام الليل حيث السكينة والهدوء والرحمة، والتلذذ بمناجاة مولاك، واستمداد القوة واستنزال العون من الله الرحيم المعين سبحانه، وفي أعطاف النداء فائدتان كريمتان:

أولاهما: التلطف في المخاطبة والمعاتبة خصوصًا للخائف المرتاب، فإن العرب دأبت على معاتبة الحبيب باسم مشتق من حالته، كقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه عندما رآه نائمًا في المسجد على التراب: «**قم أبا تراب**»[2].

والثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يأخذ حظه من الليل ويتزود من مناجاة باريه.

عندما جاء الحث على قيام الليل جاء مباشرًا مع مراعاة حاجته إلى النوم والسكن؛ لأن حاجة الإنسان إلى الزاد الروحي أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والنوم.

---

(١) كتبه: د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

(٢) البخاري ح(٤٤١)، مسلم ح(٢٤٠٩)، السنن الكبرى ح (٨٤٨٥)، ابن حبان ح(٦٩٢٥).

ثم بين الله له ما الذي يفعله في قيامه بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ أي: اقرأ القرآن أثناء قيامك في الليل قراءة تثبت وتؤدة وتمهل تسمعها الأذن ويرتاح لها القلب ويسبح في حناياها الفكر، حاذرًا أن تكون قراءة هذٍ وهذرمة أو ترديد ألفاظ بلا فهم أو تدبر.

وجاء الأمر بالترتيل مقرونًا ببيان عظمة القرآن وأنه قول ثقيل، مليء بالأحكام والحكم والدروس والعظات، بعيد الغور كثير المعاني واسع العطاء، فلا يليق به سرعة التلاوة ولا مجرد مرور الألفاظ على الألسن والقلوب.

ولكون القرآن بهذه الفخامة والسعة والعمق فإن اللائق به هو الوقت الذي تكون الأصوات قد هدأت والأحياء قد سكنت والنفس قد ارتاحت وأقبلت؛ ولذا قال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ يقول: إن ناشئة الليل أي: ساعاته وأوقاته أو هي القيام بعد النوم هي أشد في موافقة القلب والسمع لما يتلى من كلام الله، وأبين قولا.

ثم بين له أن أشغاله الأخرى وحاجات نفسه قد جعل الله لها النهار كله ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ أي: تصرفا وتقلبا في أشغالك وأعمالك وحاجات بدنك وأهلك، ولن تجد شيئًا أعون عليها أفضل من أن تخصص وقتا من ليلك لمناجاة ربك.

وقد جرب العارفون ما لقيام الليل من أثر على قوة قلب القائم وصبره وشدة تحمله وسعة أخلاقه وسكون نفسه ورضاه بمقادير ربه والبركة في الوقت والجهد.

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾[1]

سورة الشرح من السور العظيمة التي جمع الله تعالى فيها أصول أسباب السعادة وانشراح الصدر؛ ولذلك سميت باسم (الشرح)، فكلمة الشرح في كل أسمائها.

وقد جاءت هذه السورة بعد سورة الضحى، التي ذكر الله تعالى فيها النعم الحسية للنبي ﷺ، ثم جاءت هذه السورة بذكر النعم المعنوية بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر.

خاطب الله تعالى نبيه في هذه السورة بذكر مننه وأنعامه عليه من شرح الصدر حسا ومعنى، ورفع ذكره، وبيان أن العسر معه يسره، وكيف يشكرها ويقوم بحقها من الإقبال بالطاعة على الله ﷻ وإخلاص الرغبة إليه.

هذا ملخص تفسير الآية، وبالتأمل نجد أن الله سبحانه ذكر في ذلك عشرة أصول للسعادة وانشراح الصدر، وهي على النحو التالي:

١- أن السعادة بيد الله وحده سبحانه، من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ (الشرح: ١)، فهو سبحانه الذي يشرح لا غيره.

٢- السعادة تكون في القلب وليس العقل، من قوله ﴿لَكَ صَدۡرَكَ﴾، فالصدر يكنى به عن القلب كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

٣- مغفرة الذنوب، من قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾، فكلما كان الإنسان متخففًا من الذنوب، كان أقرب إلى السعادة.

---

(١) كتبه: د. عبدالمحسن بن زبن المطيري، الأستاذ بكلية الشريعة بالكويت، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، وأمين عام رابطة علماء المسلمين.

٤- رفع الذكر الحسن، من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾، فالذكر الحسن يستجلب دعاء الناس، ويستنطق الألسنة بالثناء.

٥- ما خلق الله عسرًا بلا يسر، من قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾، وعندما يعرف المرء ذلك، فإن هذا يذهب عنه أكثر الهم، فهو يوقن أن هناك حلا، ولكن المطلوب منه هو البحث عنه فقط.

٦- اليسر ينزل في لحظة نزول العسر، من قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾، ولم يقل بعد العسر يسرا، فمنذ حصول العسر والمشكلة والهم يبدأ لطف الله ويسره وتنفيسه.

٧- كل عسر معه يسران؛ لتكرار النكرة (يسرا) الذي يدل على التعدد، ولذلك قال كثير من السلف: والله لا يغلب عسر يسرين.

٨- استثمار الفراغ من أصول السعادة، من قوله ﷻ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون له فراغ.

٩- العبادة، من قوله تعالى: ﴿فَٱنصَبْ﴾، أي: أقبل على الطاعة والعبادة، والعبادة هي بوابة السعادة الكبرى، ومن مشهور كلام شيخ الإسلام رحمه الله: من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية[1].

١٠- الإخلاص في صرف وجوه الرغبات لله ﷻ وحده لا لسواه، من قوله ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾، وتحقيق هذا المعنى العظيم هو مسك الختام.

اللَّهُمَّ ارزقنا سعادة وانشراحًا وفرحًا وسرورًا يا رب العالمين.

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٢٩).

فهرس المحتويات